الأستاذة الدّكتورة/ شهرزاد بن يونس

# مقياس: علم الدّلالة 1

محاضرة

السّنة: الثالثة ليسانس

التّخصّص: اللّسانيات العامّة

المجموعة الثّانية

## المحاضرة الثّالثة

## إشكالية الدّلالة بين التّطوّر والتّغيير (مظاهر وأشكال التطوّر الدّلاليّ)

### أوّلا: تعميم المعنى وتخصصيه

### 1-تعميم المعنى واتّساعه :

هو أن تتّسع المفردة لاحتواء معان أخرى بجانب معناها الأصلي حيث تستعمل بعض الكلمات التي تدلّ على فرد أو أفراد قلائل، في الدلالة على أفراد كثيرين. وذلك أنّ خاصّية الاتساع التي يوفّرها المتكلم للدّال لاستيعاب معان متعددة، تغني مستعمل اللّغة عن ارتجال دوالّ جديدة.

-مثال ذلك كلمة (**العبث**) كانت مخصوصة باللّعب واللّهو في مجالس الخمر مثلا. ثم اتّسعت دلالتها لتشمل ما لا يحقّق فائدة مطلقا .

-مثال ذلك كلمة (**الحال**) كانت مخصوصة بالوقت الذي أنت فيه، واتّسعت لتشمل الوقت مطلقا. وقد أضاف عبد الغفّار حامد هلال( )أمثلة أخرى منها:

-كلمة (**الوِرْدُ**) كانت مخصوصة بإتيان الماء، وتحوّلت دلالتها عن طريق التّعميم إلى إتيان كلّ شيء.

-كلمة (**الرّائد**) كانت تعني طالب الكلأ، وأصبحت بمعنى طالب كلّ شيء.

-كلمة (**المِنْحَة**) خصّت بإعارة النّاقة أو الشّاة إلى شخص ما ليحصل على لبنها ووبرها وولدها، ثمّ عُمّم معناها للدّلالة على العطاء مهما كان.

-كلمة (**Salaire**) خصّ معناها الأوّل بالدّلالة على ما يصرفه الجنديّ من نقود نظير ما يحتاج إليه من ملح الطّعام، ثمّ عُمّم للدّلالة على كلّ أجرة تُقدّم للعامل.

فالعلاقة القائمة بين (الدّلالة الأولى) و (الدّلالة الثّانية) هي علاقة إيجابية، تقوم على إضافة سمات دلالية جديدة تتحدّد بمعرفة الاشتراك الدّلالي بينهما؛ كـ (انعدام الفائدة في العبث) (والوقت في الحال). في المثالين الأوّلين، وهذا يتحقّق عن طريق التّحليل التجزيئي للمعنى والكشف عن المميّز.

### 2-تخصيص المعنى :

هو نقيض التّعميم، أي «أن يغلب المفهوم الخاصّ الجديد الذي يسند إلى المفردة على مفهومها العام، فيضيف مجال استعمالها في حقل دلالي محدّد لتفيد شيئا بعينه بدلا من دلالتها على العموم.( ) «

-مثال ذلك كلمة (**إعدام**) كانت تعني إفقاد غيرك الشّيء، يقال: فلان معدوم؛ بمعنى: فقير لا رأي له. ثم اختصّت بالقتل فقط.

-كلمة (**تهريب**) جعل فلان يهرب، واختصت بما يؤخذ من بضاعة على غير طريق قانونية.

-كلمة (**محاضرة**) كانت بمعنى مجالسة العلماء والمناظرة، والإجابة الفوريّة وأصبحت تعني الموضوع الذي يلقى على جماعة المتعلمين في الجامعة مثلا.

نلاحظ أنّ العلاقة بين هذه الكلمات الأصلية والتطورية، قائمة على مبدأ السّلب أي إقصاء كل السّمات التي تمثل عناصر الاشتراك بين المعنى الأول الصحيح والمعنى التطوري، والاحتفاظ بنقطة الاختلاف (المميّز) أو الذرة الدّلالية. التي تمثّل عنصر الاختلاف الذي يمكّن المفردة من اكتساب معنى مخصوص. ونقدّم في هذا الجدول بعض الكلمات التي تغيّرت معانيها تخصيصا وتعميما ومجازا:

## ثانيا : رقيّ المعنى وانحطاطه

### 1/ التّطور الانحطاطيّ أو الخافض:

تقول نور الهدى لوشن في تعريفه: «يصدق هذا النّوع على الكلمات التي كانت دلالاتها تعدّ في نظر الجماعة نبيلة ورفيقة وقويّة، ثم تحوّلت هذه الدّلالات، فصارت دون تلك المرتبة( ) «...

ويقول مهدي أسعد عرّار: أمّا انحطاط الدّلالة فقد يُعرف بأنه نقيض رقيّ الدّلالة، فقد تكون هناك كلمة ذات دلالة مستحسنة كان السّابق يتلقّفها بقبول حسن، «ولكنّها في سيرورة العربية مع سيرورة الزمان والمكان والإنسان والسّياقات أصبحت تقترن بما هو مستقبح أو ممجوج، فغدا أمرها عند اللاحق بالضدّ.( ) «

وهذا يعني أنّ الكلمة كانت ذات معنى إيجابي، وقد تحولت إلى معنى سلبي، وإيحاءات هامشية مرذولة، مثل :

-**أَوْبَاش**: من وبش، ووبش بمعنى أخلاط النّاس المتصرفون ولو كانوا رؤساء، ولكن في زماننا هذا تعني الخارجين عن القانون.

-**بربري**: أصلها الرجل الحرّ، ولكن وظّفها الرّومان بدلالة منحطّة؛ أي الرّجل الهمجي، ذو اللغة غير المفهومة.

-**أفندي**: كلمة تركية كانت في القرن التّاسع عشر ذات مركز مرموق، ثم انحطّ قدرها وأضحت تعني الإنسان العادي السّائق أو الخادم.

-**حاجب**: كانت في الدّولة الأندلسية تعني رئيس الوزراء، ثم نزلت للدّلالة على العامل البسيط.

## /2التّطور المتسامي أو رقيّ المعنى :

أطلق عليه اللّغويون مصطلح **التّصعيد في اللّغة** قاصدين به انتقال المعنى من الانحطاط نحو التّسامي الدلالي( ). ومعناه «أن تغدو دلالة الكلمة راقية تستحسن قبول المجتمع، فقد تكون في سابق عهدها مما يستقبح ذكره، وينبو عنه السّمع، ثم تُمسي عند اللّاحق ذات شأن ومكانة رفعت عنها ما كان يعتريها في ابتذال.( )«

مثالها: **الشّاطر**: الذي نزح عن أهله، وتركهم بعد أن أعياهم خبثا وكرّا، أما الآن الشاطر هو الذّكي الفطن. (الفحل).

تعليقا على ما سبق، نقول إنّ التسامي لا يعني دائما أن تكون الكلمة ذات دلالة مستكرهة، فمثلا كلمة (رسول) كانت ذات دلالة مستحبة، وهو الشّخص الحامل للرسائل، أي ما يسمّى: ساعي البريد ثم ارتقت للدّلالة على حامل الرّسالة الرّبانية.

## المحاضرة الرّابعة

## الدّلالة اللّغوية والدّلالة غير اللّغوية

**مدخل:** يؤكّد الدّارسون أنّ المعنى لا يتأسّس إلا بوجود عناصر داخلية أو خارجية تحدّده، فهو يقوم على أجزاء القول المجاورة أو القريبة من الوحدة اللّغوية المراد شرحها، كما قد يتأسّس على الظروف المختلفة التي تقع فيها الكلمة فيُضبط معناها، وتبعا لذلك تتفرّع الدّلالة إلى قسمين: الدّلالة اللّغوية والدّلالة غير اللّغوية.

### أوّلا : الدّلالة اللّغوية

تتحصّل الدّلالة اللّغوية من مجموعة الأصوات والكلمات والجمل التي تؤدّي مدلولا محدّدا، لأنّ السياق اللّغوي مرهون بكلّ ما يحيط بالكلمة من ملابسات لغوية (موقعها، نوعها، علاقاتها)، فالكلمة في أصل وضعها داخل المعجم ذات أبعاد دلالية تجعلها صالحة للدّخول في أكثر من سياق واحد، ولكن دلالتها اللّغوية محكومة بسياق النّصّ الذي ترد فيه، فالدّلالة المعجمية تبدو قاصرة لتعدّد احتمالاتها الدّلالية، بينما السياق اللّغوي يضبط حدود المعنى عن طريق القرائن اللّفظية التي تقيّده ولا تجعله مطلقا.

فقولنا مثلا: نهض الطفل **ملبّيا** طلب أمّه،

وقولنا: دخل الحاجّ البيت الحرام **ملبّيا**

يجعلنا نميّز بين دلالتين مختلفتين لكلمة (**ملبّيا**) هما: الاستجابة في المثال الأوّل، وقول الحاجّ (لبّيك اللّهمّ لبّيك) في المثال الثّاني.

ومنه فإنّ الدّلالة اللّغوية هي النّاتج المتحقّق فعلا من السّياق اللّغويّ (**Verbal context**) وهو يمثّل " البنية اللّغوية للنّصّ من مفردات وجمل وخطاب"، فالكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب معناها إلّا بفضل علاقاتها بما سبقها وما لحقها من كلمات، لأنّ اقتطاعها عن لحمتها يؤدّي إلى الإبهام والغموض؛ فالمعنى المعجميّ متعدّد والسياق وحده بقرائنه المقالية يعين على تحديد المدلول الدقيق لها.

فكلمة (**حسن**) إذا وقعت مع كلمة (رجل) كانت تعني النّاحية الخُلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب دلّت على التّفوّق في الأداء، وإذا وصفت بها المقادير (كالملح، الدقيق، الهواء، الماء) تعني الصفاوة والنقاوة والانتعاش. ومثل ذلك كلمة (**Good**) الإنجليزية التي تتعدّد دلالاتها بتعدّد سياقاتها اللّغوية.

وقد أكّد عبد القاهر الجرجاني في أكثر من موضع في دلائل الإعجاز أنّ المزيّة للمعنى أوّلا ثمّ للّفظ ثانيا؛ ذلك لأنّ الكلمة تحمل مجموعة من المعاني المستقلة خارج حدود السّياق، فإذا ما دخلت تركيبا معيّنا حُدّد معناها حسنا كان أو

قبيحا، وفي هذا يقول: " ومّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقُك وتُؤنسُك في موضع، ثمّ تراها بعينها تثقُل عليك وتُوحِشُك في موضع آخر..." وهذا مردّه إلى النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم.

## ثانيا: الدّلالة غير اللّغوية

تمثّل الدّلالة غير اللّغوية العنصر الثّاني من عناصر المعنى، وهي تنتج عن نوع خارجيّ من السّياقات يسمّى المقام، وللمقام عناصر هي:

-سياق الموقف ()

-السياق الثّقافيّ الاجتماعيّ ()

-السّياق العاطفيّ

**1/ سياق الموقف**: يتمثّل في الموقف الخارجيّ الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة ويفرض عليها دلالة معيّنة، ولهذا قال البلاغيون: " إنّ لكلّ مقام مقال" وهي تبرز لنا أهمّية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، حيث يراعى في الموقف الأفعال المصاحبة للكلام ( الرضا، الغضب، التوتر، طريقة نظرته...) وتأثيرها على المتلقي في فهم دلالة الخطاب، وسياق الموقف يمثّل " البيئة غير اللّغوية () التي تحيط بالخطاب وتبيّن معناه" وتتمثّل هذه البيئة في الملابسات التي تحقّق ضمنها القول، كزمن المحادثة ومكانها، والعلاقة القائمة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما، والكلام السّابق للمحادثة، وخلفيات الحديث التي تساعد على الوصول إلى المعنى.

وقد حدّد (فيرث) هذه الظروف والملابسات في النّقاط الآتية:

أ-السّمات المشتركة بين المشاركين، الأشخاص

ب-الدّوافع المشتركة (الغاية من الحديث)

ج-أثر العمل اللّفظيّ في المشاركين (كالإقناع، أو الإغراء، أو الاستهزاء، أو التسلية والضّحك...)

## 2/ السياق الثقافيّ والاجتماعيّ:

يقصد به المحيط الاجتماعيّ أو الثّقافيّ الذي تستعمل فيه الكلمة، بمعنى أنّ الثّقافة التي ينتمي إليها الأفراد هي مسؤولة ولها دور فاعل في تحديد مدلول الخطاب، حيث إنّ تحديد المحيط الثّقافيّ الذي نشأ فيه النّصّ يساعد على تحديد المعنى، كما أنّ اللّغة تتأثّر بالمجتمع الذي ولدت فيه؛ فهي بدوية في المجتمع البدويّ، فتكون محدودة وتفتقر إلى الخيال والمرونة، وهي حضرية عند سكان المدن الذين مسّتهم الحضارة وتأثّروا بها فدخلت لغتهم ألفاظ جديدة تتناسب

ومعطيات العصر.

فاللّغة هي النّاطق الرّسميّ لخصوصيات المجتمعات، لأنّها تعكس حضارتها وعقائدها، واتجاهاتها الفكرية والعلمية والفنية والاقتصادية، وتبعا لذلك فإنّ دلالات الألفاظ تعكس صورة المجتمع الذي تدلّ عليه، مثل ذلك كلمة (**مجاهد**) ذات الحمولة الثورية عند العرب، وهي ليست كذلك عند مستعمراتها؛ لأنّ ظلال الكلمة الثّقافية مرتبطة بالدّين والتاريخ والسّياسة. كما أنّ العلاقة بين المتكلّم والسّامع تقوم أساسا على المشاركة وتبادل المعلومات المستمدّة من البيئة، لهذا يستطيع المستقبل فكّ الشّفرة الدلالية بيسر في تواصله مع المتكلّم وفق معلوماته وخبراته.

## 3/ السّياق العاطفيّ:

هو الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالاتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية؛ وهو مجموعة المشاعر التي تحملها معاني الألفاظ ()، أطلق عليه ستيفن أولمان مصطلح (المعنى العاطفيّ) قاصدا به وظيفة اللّغة العاطفية التي تنصبّ على التّعبير عن المشاعر والعواطف والانفعالات، وكذا التّأثير على السّلوك الإنسانيّ بكلمات ذات مضمون عاطفيّ تكتسبه في مواقف معيّنة تدخل ضمن أساليب الكلام. فلفظة (**مسدّس**) مثلا قد تعني عند الطفل لعبته المفضلة التي تطلق الماء فهي مصدر فرح ومرح عنده، بينما ذات اللفظة تعني القتل بالرّصاص عند المجرم فهي صورة بغيضة شنيعة في ذهن السامع.

فالنّبر والتّنغيم مثلا قد يكون لهما نصيب وافر في التأثير على المتلقّي وتوصيل رسالة محدّدة له، كما أنّ الكلمة قد تؤثّر أيضا بفضل مضمونها العاطفيّ المكتسب في مواقف معيّنة، ونمثّل لذلك ببعض المصطلحات القابلة للاستغلال السّيّء والتي يطلقها بعض السّياسيين على خصومهم ومعارضيهم في حملاتهم الانتخابية، كقولهم: الديكتاتورية، الرّجعية، الانتهازية،...، وقد تكون الكلمة في حدّ ذاتها حاملة لقيم أخلاقية كقولنا: العدل، الحرّية، الحق، الفضيلة..، أو تلك الكلمات التي تصف الأشخاص مدحا أو قدحا ، كقولنا: رقيق، طيّب، جميل، شنيع، دنئ، حقير، وغيرها.

### الهوامش والإحالات


– محمود عكاشة: التحليل اللّغويّ في ضوء علم الدّلالة (دراسة في الدّلالة الصّوتية والصّرفية والنّحوية، والمعجمية، دار النّشر للجامعات–مصر، ط1، 2005م.

–عرفات فيصل المنّاع: السّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، منشورات الاختلاف–الجزائر، منشورات ضفاف–لبنان، ط1، 2013.

–أحمد مختار عمر: علم الدّلالة .

-عبد القاهر الجرجانيّ: دلائل الإعجاز، ص87-88.

- عرفات فيصل المناع، السّياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، المرجع السابق.

-أحمد محمّد قدّور: مبادئ اللّسانيات، دار الفكر-دمشق.

-ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة، ترجمة وتعليق: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر-القاهرة، ط12، 1997م.

-رجب عبد الجواد: دراسات في الدلالة والمعجم.

## المحاضرة الخامسة : نظريات دراسة المعنى

## النظرية التّصوّرية–الإشارية

ظهرت في العصر الحديث نظريات ومناهج على اختلاف مشاربها حاولت تفسير المعنى ضمن رؤى تنظيرية تتوخى الموضوعية في التفسير العلمي، والعالمية في الأهداف؛ وهي جميعها تحاول رسم حدود المعنى مع إرساء علميّ لدراسته، وهذه المناهج رغم جديتها في الوصول إلى نتائج مقبولة لا تزال جهودها بكرا تحتاج إلى سند موضوعي مع تشعب المعنى ومتعلّقاته لهذا نراها في خلاف دائم بين آراء علمائها في تناول البحث وطرائقه وكيفيات تأويل المعنى على اختلاف مناحيها الفكرية أو الإيديولوجية وحتى مرجعياتها التاريخية والفكرية وهذا زاد من توسيع مجال ظهور مقاربات وصفية للدلالة تكاد تختلف كلّيا من حيث تصوّراتها وطرائق معالجتها للمعنى.

سنحاول في هذه المحاضرة أن نعرض لأشهر هذه المناهج محاولين تقديم تطبيقات على بعضها تساعد الطّالب على الفهم والإدراك.

### أوّلا: النّظرية الإشارية(Referential Theory) :

تنتمي هذه النّظرية إلى ذلك النّوع من النّظريات التي بحثت في تعيين المعنى عن طريق ربطه بشيء آخر «وتفسير الشّيء من خلال مماثلة بشيء آخر أمر مُنْتَقَد بشدّة في الابستمولوجيا المعاصرة...» ( ) وهذا لاعتباره تفسيرا قائما على الحِسّ المشترك؛ أي أنّ الشّيئين المختلفين يملكان التّحديد نفسه.

لقد طوّرت هذه النّظرية على يد الثّنائي (أوجدن و ريتشاردز) في كتابهما المشهور (The Meaning of Meaning)حيث يرى صاحبا هذه النّظرية أنّ المعنى يمكن تصوّره ضمن مثلّث يتضمّن المرجع (الفكرة) والشّيء الخارجي (المشار إليه) والرّمز (الكلمة)، حيث لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز، والشّيء الخارجي الذي تدلّ عليه ( ). كما أنّ الكلمة عندهما تحوي جزأين هما: صيغة مرتبطة بوظيفتها الرّمزية، ومحتوى مرتبط بالفكرة أو المرجع.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الدّارسين قد أطلقوا مصطلح «النّظرية الاسمية في المعنى» ( theory of meaning) على هذه النظرية التي تناولت في مباحثها الرؤية القائلة «أنّ معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها» ( )

وقد انبثقت عن هذه النّظرية ازدواجية في النّظر إلى أطراف هذا المثلث، فهناك من رأى أنّ معنى الكلمة هو ما تشير إليه، بينما يرى آخرون أنّ معناها هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه ( ) وهذا يتطلّب دراسة الجوانب الثّلاثة، لأنّ الوصول إلى المشار إليه لا يتحقّق إلاّ بوجود الفكرة أو الصّورة الذّهنية بتعبير دي سوسير.

كما تعمّقت هذه النّظرية في تقسيمها للمشار إليه بحسب الآتي:

-أن يكون محسوسا قابلا للملاحظة (objet) مثل: قلم، كتاب.

-أن يكون كيفية (quality)مثل: الألوان.

-أن يكون حدثا (action) مثل: قرأ-كتب-نجح.

-أن يكون فكرة تجريدية (abstract) مثل: المحبة، الإيمان، الشجاعة، الحرّية.

فلفظ التّفاحة مثلا مجرّد وغامض، وهو معنى اللّفظ المماثل لشيء ملاحظ ندركه بحواسّنا، وهو المرجع في العالم الخارجي، وعليه فالمرجع هو أساس النّظرية وموجّهها، لأنّه «ذلك الموضوع (أو الشّيء) الذي تتحدّث عنه العبارة اللّغوية» ( ). ولذلك، ترتبط هذه النظرية بتيار «الوضعية المنطقية الجديدة»، كما ترتبط بمدرسة الفلسفة التّحليلية التي ترى أنّ "اللّفظ" ينصرف لما يعيّن اللّفظ موضوعه، بينما "مرجع اللّفظ" هو ذلك الموضوع المعيّن؛ أي تلك العلاقة التي تقع بين اللّفظ وهذا الموضوع.( )

ويلعب مفهوما «المعرفة والنّكرة، دورا كبيرا في تحديد "المرجع" المباشر وغير المباشر عند الفيلسوف (راسل) فهناك فرق كبير بين (الكتاب) و(كتاب). حيث لفظ "كتاب" يثير عدة مشاكل، فقد يكون هو "مجموعة كتب" غير معيّنة، بينما "عبارة "هذا الكتاب" قد تُحيل على كتاب معيّن معروف يتشارك معرفته كلّ من المتلقي والمتكلّم (لونه، موضوعه، مؤلّفه)، وعليه فالعبارة لا يكون لها معنى إلاّ إذا كان لها مرجع.

**مآخذ النّظرية:**

-لاحظ العالم اللّغوي "بوتمن " Putman أن عالم المفاهيم المودع في العالم الخارجي أضخم كثيرا ممّا هو موجود في رأس الإنسان مما يصعّب على هذه النّظرية تحليلها جميعها.( )

-اهتمت هذه النظرية بالظاهرة اللّغوية خارج إطار اللغة.

-تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية (المشار إليه)، وأهملت شساعة المعرفة الإنسانية التي يصعب الوصول إلى حدودها.

-أهملت هذه النظرية بعض الرّوابط اللّغوية التي تحمل معنى علائقي مثل: (لا، إلى، لكن، كي، بما أنّ، لو...) وهي حروف معاني، ولكنّها لا تشير إلى شيء موجود.(Existing Thing)

-إنّ معنى الشّيء غير ذاته، فمعنى كلمة "تفّاحة" ليس هو "التّفاحة" الفاكهة المعروفة؛ ذلك أنّ التّفاحة يمكن أن تؤكل، ولكن المعنى لا يؤكل.( )

## ثانيا: النّظرية التّصورية« Image Theory » Ideationnal Theory :

تعتبر هذه النّظرية اللّغة وسيلة لتوصيل الأفكار، سمّيت عند بعض الدّارسين النظرية العقلية خصوصا عند الفيلسوف (John Locke)في القرن السّابع عشر الذي يقول: «استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحسّاسة إلى الأفكار. والأفكار التي تمثلها تعدّ مغزاها المباشر الخاص» ( )؛ فاللّغة هي المترجم الرئيسي لأفكار الإنسان، كما أنّ المعنى يحمل فكرة وهذه الفكرة يجب أن تتحقّق فيها شروط منها:( )

1-أن تكون حاضرة في ذهن التكلم.

2-التّعبير المنْتَج من طرف المتكلّم يجب أن يحمل فكرة معينة في عقله.

3-التّعبير يجب أن يستدعي الفكرة ذاتها في عقل السّامع.

فعندما أستخدم كلمة (كتاب) فإنّ معناها هو صورته في عقلي، وصورته الأخرى في عقل متكلّم آخر، وهذا دليل على أنّ تصوّراتنا للأشياء تختلف من شخص إلى آخر.

هذا يعني أنّ المعنى من منظور أصحاب هذا الاتجاه، هو الفكرة أو الصّورة الذهنية التي يملكها المتكلّم ويمكنه توصيلها إلى المتلقّي، شريطة أن يكون بينهما قاسم مشترك في تصوّرهما للّغة والفكرة الدّالة عليها.

وحتّى نفهم هذه النّظرية بطريق مختصر سنحلّل النّصّ الآتي:

»لَقَدْ حَصَلَتْ لي فكرةٌ معيّنةٌ في ذِهْنِي، تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، فبحثتُ عن ألفاظٍ لصياغة هذه الفكرةِ، وَوَجَدْتُنِي أركِّب جملةً أو عبارةً لغويةً، أو نَصًّا لغويًا، فأتلفُظ بهذا الإنتاجِ المَلْفُوظِيِّ أمامَ مُخَاطبي، يعبّر عن تلك الفكرة (...) والآن، فما على مخاطبي إلاّ أن يتمثّلَ تلكَ الفكرةَ التي أَصْبَحَ لها مَعْنَى، والتي انتقلْت منّي إليهِ، عن طريق اللُّغَة وباللّغة.( ) «

**تحليل النّص:**

1-يدور النّص حول كيفية انتقال الفكرة من متكّلم إلى مخاطب عبر قناة مشتركة بينهما هي اللّغة.

2-الارتباط بين الفكرة والتّعبير عنها باللّغة شيء ضروري لإخراج التّمثيل من مستوى ما هو موجود بالقوّة في الذّهن، إلى المستوى الموجود بالفعل في ذات اللّغة.

3-المعنى لا يتحصّل في الذهن إلا بارتباطه بفكرة معيّنة.

4-الفكرة الواحدة يمكن التّعبير عنها بعبارات مختلفة.

5-الصّورة الذّهنية اعتباطية ومتغيّرة من فرد إلى آخر.

6-قد تكون لنا أكثر من صورة توافق عبارة واحدة؛ فبعض الأشكال أو الألفاظ قد تعطي تصوّرات ومعان تتناسب وسياقاتها. (أوضاع نفسية، قصد معيّن، الرّغبة، درجة الانفعال، الثقافة....).

**مآخذ النّظرية:**

-هناك كلمات كثيرة غير قابلة للتصوّر مثل: الأدوات والكلمات التّجريدية: (الأمل، الإحسان، الفرح، الإيمان، الغول...).( )

-إنّ معاني الألفاظ لا يمكن إدراكها إدراكا متطابقا عند كلّ النّاس المستخدمين لها، بل يظل تفاوت كبير بينها، إذ كلّ منا يتوفرّ على جهاز تأويليّ طبيعي، قلّما يكون مرادفا لجهاز تأويلي لآخر.( )

-إنّ المعاني قد تستعمل لتعيين الأفكار، أمّا لأفكار فلا يمكن أن تستعمل لتعيين المعاني.

## المحاضرة السّادسة

## النظرية السّلوكية

**مدخل:**إذا كانت النّظريتان السّابقتان قد ارتكزتا على الفكرة أو التصوّر بعدّه عنصرا مجرّدا غير قابل للملاحظة، فإنّ النظرية السّلوكية قد ركّزت على الجانب الممكن ملاحظته علناً، فنظرت إلى المعنى بعدّه سلوكا ظاهرا، نافية بذلك الحالات والعمليات الدّاخلية، وهذا بريادة بلومفيلد الذي تبنّى بعض آراء (Watson) ثم (Weiss) السّلوكية.

فمع ظهور اللّسانيات في (الو. م. أ) بدأ الاهتمام بمجال تعلّم وتعليم اللّغات عند كلّ من سابير Sapirو بلومفيلدBloomfield ، و سكينرSkinner، هذا الأخير الذي جمع بين علم اللّغة وعلم النّفس، و بدأ في تطبيق الأبحاث اللّسانية في مجال تعليم اللّغة و تعلّمها نظريا ومنهجيا، على اعتبار أنّ السّلوك هو مجموعة من الاستجابات النّاتجة عن مثيرات خارجية طبيعية أو اجتماعية .

وقد كان هؤلاء الباحثون يصدّرون نتائج أبحاثهم بالاستناد إلى أسس نظرية نابعة من أفكار "واطسن"، إذ تركّز اهتمامها بالأساس على السّلوك لأنّه يخضع للتّجربة والملاحظة العلميين، والذي يخرج كلّ الأمور المتعلّقة بالحياة الدّاخلية للإنسان.

وبناء عليه اقتصر اهتمام "بلومفيلد" بعد ذلك على وصف السّلوك اللّغوي الظّاهري الذي يمكن ملاحظته بالحواس. ومنه، فإنّ زعيم هذه النّظرية قد تقدّم بأفكار مفادها أنّ التّفسير السّلوكي للحدث اللّغوي يرتكز على دعامتين:

**الأولى**: إمكانية تفسير الحدث اللغوي تفسيرا آليا بناء على مفهومي المثير والاستجابة.

**الثّانية**: إمكانية التنبؤ بالكلام بناء على المواقف التي يحدث فيها بمعزل عن العوامل الدّاخلية .

وبناء على هذا التّصور حاول "بلومفيلد" أن يصنّف سلسلة التّعاقب **(مثير⟵ استجابة)** في الممارسة الفعلية للحدث اللّغوي، على شكل تعاقب ثنائي بين شخصين في حالة مواجهة، يتكلّم أحدهما مع الآخر بالتّناوب، بحيث يصبح كلام الأول مثيرا يقتضي استجابة من الثاني، ثم تصبح استجابة الثاني مثيرا يقتضي استجابة الأول، وهكذا تتكون السّلسلة الكلامية.

### I - منطلقات النّظرية:

تزعّم النّظرية السّلوكية بلومفيلد (1887-1949) (Bloomfield) بداية القرن العشرين، ويمكننا حصر منطلقاتها النّظرية والمنهجية في الآتي:( )

1-إنّ اللّغة عبارة عن مجموعة من العادات الصّوتية التي تتكيّف بمثيرات البيئة.

2-إنّ متكلم اللّغة يستمع إلى جملة معينة، أو يشعر بدافع معيّن، فتستثار فيه استجابة كلامية، دون أن ترتبط هذه الاستجابة بأيّ شكل من أشكال التّفكير، بل ترتبط فقط بالمثيرات الخارجية.

3-نظر بلومفيلد إلى الحدث الكلامي (اللّغة) بعدّه صورة من السّلوك الجسمانيّ ( )، فكما يمكن فهم هذا السّلوك، من خلال ظروف تلابسه، كذلك يمكن فهم الحدث الكلامي .

4-اتّجهت هذه النّظرية أيضا إلى تقليص دور الغرائز والقدرات الفطرية الأخرى، وتأكيدها على الدّور الذي يلعبه التّعلم في اكتساب النّماذج السّلوكية.( )

5-اتّجاهها الآلي أو الحتمي الذي يرى أنّ كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.( )

6-يقرّ بلومفيلد «أنّ المعنى يتألّف من ملامح الإثارة وردّ الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات»( ). أي أنّه مرهون بعنصرين؛ المثير وهو الموقف الذي ينطق فيه المتكلم، والاستجابة التي يستدعيها من السّامع، فالمعنى إذن هو: مثير+ استجابة، ويبقى «المقام هو المميّز بين الإمكانيات المتعدّدة للدّلالة خاصة وإنّ الصّيغة اللّغوية قد أخذت أبعادا اجتماعية وثقافية، وتعلّقت بها قيم أسلوبية وتعبيرية ممّا يعيق التّواصل والإبلاغ» ( ). فأهمّية المقام تكمن في علاقته بالمقال لإزالة اللُّبس، وتبيان المعنى الهامشيّ من المعنى الأساسي، وكذا استكشاف قيمة القول (تهديد، وعد، وعيد) إلى غير ذلك من الوظائف الأخرى.

## II – قصّة جيل وجاك:

...»تَرَى جِيلْ تفاحةً عَلَى شجرةٍ، ولما كانت تَشْعُرُ بالجوع، طلبت من جاك أن يتسلّق الشجرةَ، ويأتي بالتُّفَاحَةِ لتَأْكُلَهَا «...

لأجل تحليل هذه القصّة انطلق السّلوكيون من منطلق أنّ الحدث الكلاميّ هو نوع من الاستجابات Responses لمثيرات ما (Physical stimuli) تقدّمها البيئة أو المحيط.( )Environnement

ولتمثيل العلاقة بين المثير والاستجابة تكون (**م =مثير/ س= استجابة**)؛ فالمثير سبب، والاستجابة أثره. ونموذج السّلوك يعدّ سلسلة من المثيرات-الاستجابات، هذا يعني أنّ كلّ استجابة تتحوّل بالضّرورة إلى مثير يستدعي استجابة أخرى ستتحوّل إلى مثير بدورها، وهكذا...

## III –تحليل القصّة:

يمكن تحليل هذه القصّة ضمن المراحل الآتية:

- مرحلة سابقة عن الحدث الكلامي.

-مرحلة الكلام.

-مرحلة تتبع الحدث الكلامي.

ويشرح بلومفيلد هذه المراحل كما يلي :( )

-كانت "جيل" جائعة، أي أنّ بعض عضلاتها الدّاخلية كانت تتحرك بطريقة معيّنة، ثم إنّ الموجات الضوئية الحاملة لصورة التّفاح انعكست على عينيها، كلّ ذلك يمثل "المثير" أو المنبّه (S=stimulus)"ولو كانت جيل وحدها لتسلّقت الشّجرة وأتت بالتّفاحة، وهذا ما يسمّى بالاستجابة.(R=response)

-ولما كان "جاك" بجوارها تحدث "استجابة بديلة"، وهو الحديث الذي تُعبّر به عن رغبتها في التّفاحة (أصدرت أصواتا بحنجرتها وجهازها النّطقي).

-وهذا الحديث هو بمثابة «مثير بديل أو منبّه» لـ(جاك)، ومن ثمّة يتسلّق الشجرة لإحضار التّفاحة كما لو كان جائعا وأرادها لنفسه. وعلى هذا الأساس يمكن تصوّر نوع الحدث الكلامي أو اللغة انطلاقا من وجود مثير معيّن.

وعليه فقد دافع بلومفيلد عن نظريته المادية (أو الميكانيكية) التي يراها صالحة لدراسة السّلوك الإنساني التّواصلي، وهو عنده قابل لـ:

-للملاحظة.

-والتّنبؤ.

-والتّفسير.( )

وبناء على ذلك، فقد رفض النّظرية العقلية التي ترتكز على عوامل ميتافيزيقية (العقل، الرّوح، الإرادة)، واستبدالها برؤية ميكانيكية تخضع للوصف العلمي الموضوعيّ، القائم على التّجريب والمعاينة من وجهة نظره .

**III – الانتقادات الموجّهة للنّظرية:**

-يرى تشومسكي أنّ البحث اللّساني –عند بلومفيلد-يركّز على وصف "السّطح اللّغوي" انطلاقا من مقياس "المثير" و"الاستجابة" وبالتّالي فإنّ البحث اللّغوي السّلوكي يكاد يعامل الإنسان باعتباره "آلة" تتحرّك حسب قوانين تحدّدها مواقفُ وظروفُ معيّنة.( )

-لقد أهملت هذه النّظرية القدرة الإبداعية لدى الإنسان على إنتاج اللّغة وفهمها، لأنّها اهتمّت بالبُنَى السّطحية فقط، ولم تتعمّق في البنى العميقة.(Deep structure)

-الجملة الواحدة في أيّة لغة لا تقتضي بالضرورة استجابة واحدة فقولنا مثلا: "يا له من حفل ! "( ) تعطينا معنيان مختلفان: قد يكون الحفل جيّدا، أو رديئا. هذا من جهة ومن جهة ثانية قد تكون الاستجابة حول موضوع الحديث بالشدّ على يدي بحرارة، أو برسم اشمئزاز واضح على وجهك، أو بتغيير موضوع الحديث، أي أنّ الاستجابة كانت غير لغوية بخلاف ما أقرّته النّظرية.

أضاف إلى ذلك أحمد مختار عمر قصور هذه النّظرية في تحليل المفردات ( )، فتوجد كلمات كثيرة لا تدلّ على أشياء مادّية قابلة للملاحظة كالمحبة والأمل والإيمان .

إنّ هذه النّظرية قامت على أساس تجارب أجريت على تعلّم السّلوك في الحيوانات الدنّيا ثم نُقلت هذه النتائج إلى الإنسان رغم إدراكها أنّه لا يشبه بقية المخلوقات في مثيراته أو استجاباته.

# المحاضرة السّابعة

# النّظرية السّياقية

## -أولا: مفهوم السّياق وأنواعه:

السّياق لغة مشتق من الجذر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر من (سَاقَ يَسُوقُ سَوْقًا وَسِيَاقًا) ويعني التّتابع والتّوالي، يقال: " وقد انْسَاقَت تَسَاوَقَت الإبل تَسَاوُقًا إذا تتابعت، وكذلك تَقَاوَدَتْ فهي مُتَقَاوِدة متَسَاوِقة .( ) "

وأصل الكلمة (سَوَقَ) لهذا جاء المصدر (سِوَاقٌ)، وقد قُلبت الواو ياء لكسرة السّين، فتحوّلت إلى (سِيَاق)، «فالسّين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشّيء» ( )، ويقال تَسَاوَقَت الإبل إذا تتابعت، والمسَاوَقَةُ: المتابعة كأنّ بعضها يسوق بعضا ويوجّهها، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

نستنتج من التّعريفات السّابقة أنّ المادّة الأصل لمصطلح "السّياق" تدور على معنى الاتصال والتّتابع.

## ب–مفهومه اصطلاحا:

عرف مصطلح السّياق تعريفات كثيرة بين الدّرس الأصوليّ وبين الدّرس اللّساني الحديث، فقد أكدّ الأصوليون أنّ السّياق هو تلك القرائن الدّالة على مراد المتكلّم من كلامه، ونظرا لأهمّيته في تفسير القرآن الكريم فقد أشاد بذلك الزّركشي (ت 794 ه) بقوله :«ليكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له، وإن خالف أصل الوضع اللّغوي لثبوت التجوّز» ( ). وهو ما ذهب إليه السّيوطي (ت 911ه) عندما أدرك أهمية السّياق في التّفرقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ودورهما في الرّبط بين المفردات .( )

وتتوزع اهتمامات الأصوليين بالسّياق إلى نوعيين من المباحث؛ «أحدهما: المباحث المتعلقة بتأثر السّياق، كله، في الخطاب أو في جزء منه. والنوع الثاني: المباحث المتعلقة بتأثير السياق، أجزاء، في الخطاب أو في جزء منه» هامش( ).وهم بهذا ينوّهون بقيمة نوعين من السّياقات، السياقات اللّغوية، والسّياقات غير اللّغوية الخارجية التي تؤثر في تحديد دلالة التراكيب، ذلك أنّ الكلمة مقترنة بغيرها أوثق في الدلالة من الكلمة المقروءة خارج السياق، الذي يعد أفضل قرينة تكشف عن المعاني الخفية. ولهذا اشتهرت عبارات كثيرة عند الأصوليين منها (سياق الكلام)، (سياق النظم)، (اللفظ الواضح فيما سيق له) .

ويتّفق هذا مع أطروحات النظرية السياقية في الفكر اللغوي الغربي بزعامة (Firth) الذي يرفض أن يكون المعنى علاقة عقلية بين الأشياء والرموز، وإنما هو مجموعة عن الاستعمالات والعناصر التي تكون مسؤولة عن توجيه دلالة النص .( )

نستنتج من التعريفات السّابقة في تراثنا العربي لموضوع السّياق النقاط الآتية:

-السّياق هو الغرض، أو مقصود المتكلّم الذي يريد إيصاله إلى المتلقّي.

-السّياق هو الظروف والملابسات والمواقف والأحداث التي تساعدنا على فهم الخطاب.

-السّياق هو تلك العلاقات الرّابطة بين المفردات، والتي تساعدنا على توصيل المعنى الإجمالي للّنص أي النّص الذي انتظمت أجزاؤه في نسق واحد .

إنّ معنى اللّفظ بهذا المنظور لا يتحقّق إلّا من خلال تسييقه، وهو البعد الدّاخلي الذي يتعلق باللغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها، والهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات لإزالة اللّبس الذي يعتريها، كما أنّ التّغير الدّلالي للكلمة يجعلها تنقل من حقل دلاليّ إلى آخر وفق اعتبارات بصفة يرتضيها النظم.

وأمّا البعد الخارجي فيتمثل في «الظّروف والخلفيات المحيطة بالنّص سواء منها ما يتّصل بالمخاطِب أو المخاطَب، وكذلك البيئة الزّمانية والمكانية النابع منها النّص، وكذلك يشمل الأسس الفكرية والحياتية القائمة وراءه» ( ). فضلا عن كلّ الملابسات والظروف التي تحدّد إطار النّص وتحيط به.

وعليه، يكون السّياق عند الأصوليين عنصرا ضروريا لاستثمار وفهم مقصديه النص القرآني عن طريق استثمار الأدوات اللغوية الموظّفة في التّفكيك والتّعليل للوصول إلى القراءة العميقة. نمثّل لذلك بقوله تعالى:﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: 7]؛ فالأمر الوارد في هذه الآية الكريمة يتجسّد في فعل الأمر المقرون بلام الأمر(لينفق) فإنّها تُستعمل بدلالات مختلفة كالوجوب والإرشاد في هذا المقام، وقد تتعدّاهما إلى دلالات أخرى كالإباحة والتّهديد والتّسوية والتّمنّي في سياقات قرآنية أخرى .

أمّا تعريفات المعاصرين للسّياق في الفكر اللّغوي الغربيّ، فهي تصبّ في مجرى واحد، سنورد بعضها بالتّحليل والمناقشة.

لقد ارتبط مفهوم (السيّاق) بالمعنى عند أصحاب مدرسة لندن بما يسمّى بالمنهج السّياقي (Contextual Approach)بزعامة جون روبرت (firth) ورواد هذا الاتجاه من أمثال Lyons, Mitchell, Sinclair, Halliday

وقد أكدّ هؤلاء الباحثون على أنّ المعنى لا يمكن الكشف عنه إلاّ بتسييق الوحدة اللّغوية التي تقع مجاورة لوحدات لغوية أخرى، وعليه فإنّ دراسة معاني الكلمات مرتبط بتحليل السّياقات والمواقف التي ترد فيها، كما أنّ «معنى الكلمة يتعدّل تبعا لتعدّد السّياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعا لتوزّعها اللّغوي ) «(linguistic distribution) .(وهذه إشارة إلى أهمية القرائن المقالية التي تربط السّياقات بعضها ببعض.

يقول "أولمان" في تعريف السّياق» :Context هو النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم بأوسع معاني هذه العبارة، وإنّ السّياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاّحقة فحسب- بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه» ( ) وهذه إشارة منه إلى امتداد السّياق في النّص ابتداء من السّياق الأصغر توجّها نحو السّياق الأكبر أو الموسّع، الذي يمكن الوصول إليه عبر تتبع تلك العلاقات القائمة بين الوحدات اللّغوية لدى المتكلّم، الذي سيسعى قدر استطاعته على إيصال أفكاره ومشاعره إلى المتلقي الموجود أو المُفْتَرَضِ ضمن مواقف ومقامات معيّنة .

كما أنّ "أولمن" حدّثنا عن أهمّية الظّروف والملابسات والعناصر غير اللّغوية المتعلّقة بالمقام في الوصول إلى المعنى الدّقيق للكلمة؛ فالكلمات ذات المعاني المركزية الثابتة سرعان ما تتحدّد دلالتها عندما تنتقل إلى حيّز التّطبيق داخل السّياق، فلو نأخذ كلمة (قريب) معزولة عن السّياق لما عرفنا هل تعني قرابة الدّم، أو القرب في المسافة.

لقد أثبت السّياق فاعليته وفي هذا يؤكد "فندريس" على أهمية السّياق في تدقيق المعنى «فهو الذي ينفي الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، إذ يخلق لها قيمة حضورية» ( )، إنّه يمثّل أداة إجرائية تلعب دورا هاما في تحديد المعنى، فمعظم الدّلاليين يتّفقون بأنّ للكلمة معنى قاعديا، ومعنى سياقيا، وهما يتكاثفان معا لتعيين المعنى الدّقيق.

## 2-**مبادئ النّظرية:**

لقد تمّ النّظر إلى المعنى في هذه النظرية ليس بكونه علاقة عقلية بين الحقائق والرّموز الدّالة عليها -كما وضّح ذلك العالمان أوجدن و ريتشاردز-كما مرّ معنا سابقا في مثلثّهما الدّلالي المشهور-وإنّما ُنظر إلى المعنى بعدّه مركّبا من العلاقات السّياقية في جميع مستوياتها اللّسانية، لهذا فرّق فيرث Firth بين خمس وظائف أساسية مكوّنة للمعنى هي:( )

-الوظيفة الأصواتية Phonetic function

-الوظيفة الصّرفيةMorphological fonction

-الوظيفة المعجمية Lexical fonction

-الوظيفة التركيبيةSyntactical fonction.

-الوظيفة الدّلالية Semantic fonction

فهذه الوظائف جميعها تخدم بعضها البعض في فهم المعنى؛ ذلك أنّ إغفال أيّ مستوى من هذه المستويات قد يشوّش المعنى المراد، كما أنّه سيؤثر سلبا على السّياق العام للنّص، القائم أساسا على إمكانية إبدال عنصر مكان عنصر آخر لتحقّق السّياق، لأنّه في حال غياب البديل فإنّ المعنى يغيب بالضّرورة؛ فلو ننظر مثلا إلى كلمة (بَسَنٌ) في العبارة

الإتباعية في التراث العربي «هَذَا حَسَنٌ بَسَنٌ» ( ) لما وجدنا لها معنى لعدم أدائها وظيفة سياقية، فهي ليست بديلا ممكنا لغيرها من الكلمات.

كما أنّ لسياق الموقف دوره في إخراج الكلمة من معنى إلى آخر، أو إخراج الجملة من معنى الإخبار إلى الأمر والاستفهام مثلا. فهنا يتبيّن لنا أنّ للوحدات اللّسانية معنيين؛ أحدهما عام ومجرّد خارج حدود السّياق، وآخر متحرّك ومتغيرّ داخل حدود سياق النّص، وللمتكلّم والسّامع دورهما في الكشف عن هذين المعنيين.

**-مفهوم المصاحبة :(Collocation)**

هي أكثر المفاهيم اهتماما من طرف أصحاب هذه النّظرية الذين أولوا عناية خاصة للعلاقات الدّاخلية التي تربط العناصر اللغوية ببعضها ببعض، ثمّ تأتي العلاقات الخارجية في المرتبة الثانية لاهتمامها بما تدلّ عليه العناصر اللّغوية خارج النّص، والمقصود بالمصاحبة هي: «التّرابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة في جمل تلك اللّغة» ( )، فهي المحدّد الأساسي لمعاني المفردات اللّغوية؛ فالكلمة تُختبر دلالتها تبعا للكلمات التي تتصل بها، ولنا في ذلك كلمة (صالح) فهي قابلة للتّعديل الدّلالي تبعا للسّياق اللّغوي الذي يربطها بكلمات أخرى تختلف من جملة إلى أخرى نسوقها في الأمثلة الآتية( ):

**-رجع من السّفر صالحا سالما معافى**

**-تزوّد المسافرون زادا صالحا كثيرا**

**-رزقني الله ولدا صالحا بارّا مستقيما**

**-وجدت في رحلتي صالحا نافعا**

هذا يعني أنّ الرّصف يمثّل ارتباطا اعتياديا بين وحدتين معجميتين منفصلتين ولكنهما تترابطان دائما، مثل ذلك ارتباط كلمة (منصهر) مع مجموعة من الكلمات مثل: حديد-نحاس، ذهب، فضة، ولكنّها لا ترتبط مع كلمة (جلد) مثلا. وسبب هذا الارتباط هو أنّ هذه المعادن تتقاسم عددا من الترابطات مثل: الصّلابة والثقل والبريق والبرودة والقدرة على الذّوبان( ).

**-أنواع السّياقات:**

اتفق الدّارسون على أنّ هذه النظرية السياقية قد أقامت مبادئها في فم المعنى على نوعين من السّياقات أحدهما يعنى بالجانب العلائقي للكلمات داخل النّص، والآخر منهما يمثّل الظروف المختلفة التي يقع فيها حدث معيّن فتحدد معناه ()، غير أنّ بعض الدّارسين زاد عليها أنواعا أخرى تتصل بالجانب العاطفي أو الثقافي للحدث اللّغوي وسنحاول تحديد

هذه الأنواع فيما سيأتي ذكره.

اقترح k.Ammer بحسب ما ذكره أحمد مختار عمر أربعة أنواع للسّياقات وهي كالآتي:

**أ–السّياق اللّغوي** (Linguistic Context) ويقصد به ذلك التغيرّ الدّلالي الذي يحدث للكلمة حيثما تغيرّ سياقها اللّغوي، لأنّ الوحدة الدّلالية لا يتحدّد معناها إلا باتصالها بغيرها من الوحدات، ويمكن التمثيل له بكلمة (Good)في اللّغة الانجليزية، ومثلها (حسن) في اللغة العربية يتغيّر معناها لعلاقاتها مع الكلمات الأخرى.

ومثل ذلك في اللّغة الإنجليزية فكلمة (Take) تتحدّد دلالتها تبعا للكلمات التي ترتبط بها؛ فيقال Take : overبمعنى اقتنى أو امتلك، = Take inأدخل، :Take afterشابه، : Take onتحمّل المسؤولية، Take :downهدّم.

**ب– السّياق العاطفي** Emotionnal Context:

وظيفته تكمن في كونه «يحدّد درجة القوة والضّعف في الانفعال، ممّا يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا» ( ). فكلة (love) الإنجليزية غير كلمة (like) في اللّغة نفسها رغم اشتراكما في أصل المعنى وهو المحبة ونمثل له بالآتي:

-بمعنى؛ يعجبنيI like this book :

-بمعنى؛ أحبّكI love you :

ومثل ذلك لفظ (المحبّة) في اللّغة العربية الذي وزّع ابن قيم الجوزية ألفاظه ضمن مراتب :( )

–العلاقة: وهي علاقة لتعلّق القلب.

–الإرادة: ميل القلب إلى محبوبه.

–الصّبابة: انصباب القلب إليه.

–الغرام: الحبّ اللّازم للقلب.

–الوداد: صفو المحبة وخالصها.

–الشّغف: وهو من الحب الواصل إلى غشاء القلب.

–العشق: الحب المفرط الذي يخاف على صحابه منه.

–التتيّم: التّعبد والتذلّل.

–التّعبّد: هو غاية الحب وغاية الذّل ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير المولى عز وجل.

**ج–سياق الموقف** :(**Situationnel Context**) سمّي عند القدماء "القرائن الحالية" وسمي أيضا سياق الحال( ) حيث نبّهوا إلى أهمية قصد المتكلّم وإرادته في فهم المعنى لدى السّامع، بمساعدة القرائن العقلية والقرائن الحالية، أمّا في الدّرس اللّساني الحديث فهو يقوم على عناصر يمكن تلخيصها في النّقاط الآتية:

–شخصية المتكلم والسّامع وتكوينهما الثّقافي.

–العوامل والظاهر الاجتماعية ذات العلاقة باللّغة، والسلوك اللّغوي، كحالة الجوّ والوضع السياسي ومكان الكلام.

–أثر الحدث الكلامي في المشتركين.( )

ومنه فإنّ سياق الحال يتضمّن تلك الظّروف الخارجية وملابسات الموقف، وجملة العناصر المكوّنة للموقف الكلاميّ التي تساعد على فهم المعنى، مثال ذلك: كلمة (يَرْحَمُ) التي تتعدّد دلالاتها عند تقديمها وتأخيرها في موقفين مختلفين: "يرحمك الله" في موقف تشميت العاطس، "والله يرحمه" في مقام الترحّم على الميّت بعد وفاته؛ «فالأولى تعني طلب الرّحمة في الدنيا، والثّانية طلب الرّحمة في الآخرة.( ) «

ووجب الإشارة هنا إلى أهمّية تحصيل المعنى باستثمار عناصر غير لغوية أخرى، كالإيماء والإشارة وغيرها، فهي مساعدة على الوصول إلى المقصود، وقد توخّى المفسّرون وعلماء اللّغة العربية الوقوف على أسباب النّزول لمعرفة المعاني الخفيّة للخطاب القرآني، لأن المعنى يتفاعل دوما مع محيطه.

**د – السّياق الثّقافيّ:**

يرتبط أساسا بالمحيط الثّقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، حيث تتباين المجتمعات في تصوراتها للأشياء، وتختلف زوايا نظرها، كما أنّ لثقافة الفرد وانتمائه إلى مجال معيّن تأثير في فهم المعنى.

فكلمة مثل (Looking Glass) التي تعني (المرآة) تتحدّث بها الطّبقة العليا في بريطانيا، بعكس Mirror التي يوظفها عامّة الناس. وكذا بالنّسبة للعربية فكلمة (عقيلته) توظّف في المقامات العليا بعكس زوجته أو امراته عند العامة.

**أهمّية النّظرية:**

لقد أدرك علماء اللّغة المعاصرين أهمية هذه النّظرية، ذلك أنّ المعنى يبدو غامضا خارج حدود السيّاق، ووحده الاستعمال الذي يساعد على تقطير المعنى وتِبيان حدوده في النّص.

كما أنّ هذه النظرية قد أسهمت في بلورة الرّؤية التّحليلية عند المعجمين الذين صرّحوا بأنّ المعجمي يجب أن يقف عند دلالة الكلمة في سياقها، وتبعا لذلك يمكنه تحديد المدخل المعجمي المناسب «ولهذا فإن أولمن Ullmann كان

حريصا على التّنبيه على أنّ المنهجين التّحليلي والسّياقي ليسا متضاربين كلا مع الآخر، وإنّما يمثّلان خطوتين متتاليتين في نفس الاتجاه» ( ) وهذا سييسّر تحليل المعنى تحليلا موضوعيا.

**-الانتقادات الموجّهة للنظرية:**

أ-أهمل "فيرث" في تحليله السّياقي بعض الجوانب الصّوتية والنّحوية والمعجمية والصّرفية مما جعل نظريته لا تتعدّى المستوى الدّلالي، مهملا بذلك بقية المستويات التي تخدم المعنى.

ب-إنّ المصطلحات التي تقدم بها "فيرت" لم تكن دقيقة بما يكفي في نظريته، فقد كان مصطلح (السياق) غير دقيق، وكذا مصطلح (الموقف) الذي بدا غامضا أيضا.

ولكن رغم هذه الانتقادات الموجّهة لهذا الاتّجاه، فإنّ فكرة المصاحبة قد ساعدت الدّارسين على تحديد مجموعات المشترك اللّفظي، كما أنّها أسهمت في تحديد التّعبيرات الاصطلاحية (Idioms) التي أضحت ثابتة بفعل تلك العلاقة القوية القائمة بين بعض الوحدات اللّغوية، ممّا يعدّ معيارا موفّقا لتحديد مجالات الانتظام والترابط بين الكلمات، وتبيان المترادف منها عن طريق استعمالاتها.

كما أنّ طرق الرّصف المعتمدة عند فيرث تميّزت بصفة العلمية، وقد وُصفت بالدّقة والموضوعية لقيامها على منطق الملاحظة والاستنتاج، وهي أساليب علمية تعطي للنظرية قيمتها في التّحليل الدّلالي اللّساني.

## المحاضرة الثّامنة

# نظرية الحقول الدّلالية

### مدخل إلى نشأة نظرية الحقول الدّلالية:

إنّ أكثر الأسئلة المطروحة في هذا المقام بعد المساءلة عن مفهوم الحقل الدّلالي، هي ما هي أصولها المعرفية في اجتهادات المحدثين من علماء الدّلالة واللسانيين؟ وما هي الأدوات الإجرائية التي تقارب بها خطابا ما مقاربة دلالية وفق هذه النظرية؟

وحتى نقارب هذه المعطيات فإنه علينا بدءا أن نتواصل مع البداية الأولى لهذا المنهج، والتي يرجعها الدّارسون إلى التّخلي التّدريجي للتركيبيين الأمريكيين عن دراسة المعجم، لأنّه في نظرهم ينقص من قيمة السّياق في تحديد دلالية الكلمة، وينحو نحو العموم، ومثلهم فعل النّحاة التّوليديون التّحويليون الذين نظروا إلى المعجم بعدّه جزءا من النّحو.

ولم تتبلور فكرة الحقول الدّلالية إلاّ في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن على يد علماء سويسريين وألمان، على رأسهم Ipsen:، Jolles، و porzig ، حيث درس هذا الأخير الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة.

وهكذا تطوّر السّيمانتيك التّركيبي على يد جوست تريرTrierالذي كان انشغاله بالثّروة اللفظية للغة الألمانية، وتتبّعه للتغيرات التي تحدث لها بمرور الزّمن، وهذا كان سببا وجيها في اهتمامه بفكرة «الحقل» وقد قام بإنجاز عمله الكبير بعنوان: «الثّروة اللّفظية للّغة الألمانية في دائرة الحقل-تاريخ الحقل اللّغوي من البدايات إلى بداية القرن الثّالث عشر» وقد نشر الجزء الأول منذ سنة 1931م، ويمكن إيجاز أطروحاته المنهجية في النّقاط الآتية:( )

أ-الكلمات تغطّي المجال الكلّي للحقل، كما أنّ الحقول تغطّي المجال الكلّي للثروة اللفظية.

ب-إنّه يُنظر إلى الثّروة اللّفظية في إطار المنظور التّزامني السّنكروني على أنّها كلّ يتفرع دلاليا، وأنّ هذه الثّروة تنقسم إلى حقول تتفرع إلى صلات متدرّجة، وأن معنى الكلمة المفردة مرتبط بمعاني الكلمات القريبة منها دلاليا.

ج-إنّ معاني الكلمات تتّحد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلّي، فلا يستطيع المستمع أن يحدّد معنى الكلمة إذا لم يعرف بقية كلمات الحقل، ومدى العلاقات الدّلالية التي تربط بينها.

ثم جاءت دراسات أخرى على يد «Meyer» الذي درس ثلاثة أنماط من الحقول الدّلالية، وقد عمد إلى تطوير النّظرية، وذلك عند ملاحظته أنّ كلّ لفظ في قائمة الرّتب العسكرية يتحدّد معناه من موضعه ضمن مجموعة المصطلحات التي تؤلّف تضامنا دلاليا ( )، مؤكّدا على فكرة الارتباط بين الوحدات المعجمية في الحقل الدّلالي الواحد .

وفي فرنسا ركّز «Matore» وأتباعه على حقول تتعرض ألفاظها للتغيّر أو الامتداد السّريع، وتعكس تطورا

سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا ( ). ولعل أشهر المجالات التي أقيمت عليها الدّراسة نجد ألفاظ القرابة، الألوان، النّبات، الأمراض، الأدوية، الطّبخ، الأوعية، ألفاظ الحركة، الأثاث، المثل، الدين، الأساطير والخرافات التجارة، الحيوانات، أعضاء البدن وغيرها.

وتعود بدايات هذه النّظرية إلى عام 1977م عندما استعمل tegner مصطلح "حقل" في مقال له بعنوان "تقديم أفكار الحقل اللّغوي ."

أمّا بخصوص شيوع المصطلح بعدّه مفهوما لغويا يعود إلى هوسرل husserl ودي سوسير حيث تتصل فكرة الأخير عن القيمة اللّغوية بنظرية الحقل الدّلاليّ، لأنّ قيمة الكلمة تكمن في عنصر المعنى الذي فيها، وتزداد هذه القيمة عندما تتّصل بغيرها من الكلمات.

وفي هذا الإطار يقول أحد أقطاب هذه النّظرية وهو "ترير": «إنّ قيمة كلمة ما لا يمكن تحديدها إلا بتعريفها ضمن علاقاتها بقيمة الكلمات المجاورة لها والمتباينة معها، إنّها لا تحصل على معنى إلا باعتبارها جزءا من كلٍّ ولهذا فإنّه ليس هناك من معنى إلا داخل المجال» ( ). يؤكّد "ترير" في مقولته على أهمية التّماسك الدّلالي القائم بين مفردات اللّغة، فلا قيمة للمفردة بعيدا عن حقلها الدّلالي، لأنّ الغموض سيكتنفها إلى أن تتّحد بغيرها فتتوضّح معالمها الدّلالية.

وهذه الفكرة هي التي أسّس عليها دي سوسير أطروحاته اللّسانية عندما اهتمّ بالرّوابط التّشاركية، ففكرة الخوف مثلا تنضوي تحتها جملة من الأفعال من مثل: (توجّس، خاف، خشي، فزع، رهب) فهي معا تشكّل حقلا دلاليا مشتركا يدور حول موضوع محوريّ هو الخوف.

ثانيا: تعريف الحقل الدّلاليّ(Semantic Field) (Champ sémantique) :

يورد الدّارسون تعريفات مختلفة للحقل الدّلالي أشهرها: «مجموعة من الألفاظ (Mots) المرتبطة فيما بينها ارتباطا ضيّقا، ويحكمها غالبا لفظ أَوْحَدٌ عام .( )

وحتى نتبيّن حدود هذا المفهوم وجب تحليل الحقل الدّلالي إلى ثلاث خصائص هي:

1-مجموعة من الكلمات تكوّن حقلا مفهوميا (Conceptuel) أي تتقاطع في بعض الجزئيات المفهومية مثال ذلك:

-حقل الرّؤية: شاهد، رأى، أبصر، رمق.

-حقل الألوان: أحمر، أخضر، أصفر، أزرق، أبيض.

-حقل القرابة: جدّ، جدّة، أم، أب، ابن، عم، خال.

2-مجموعة من الكلمات تكوّن حقلا معجميا : حيث تحلّل الألفاظ على أنّها وحدات دلالية، وتسمّى أيضا وحدات سماتية أو سميمية عند بعض الدّارسين.

3-مجموعة من الكلمات تكوّن حقلا خاصّا بأسماء الأعلام (Onomasiologie) مثل: ليلى، محمّد، شهرزاد، رقيّة، مكة، قسنطينة.

**أولا: مبادئ النّظرية وأهمّيتها:**

لم تكن نظرية الحقول الدّلالية نظرية عشوائية عند ظهورها، بل كانت تتّكئ على مجموعة من المبادئ المنهجية التي ساعدتها على الانتشار فيما بعد عند الدّارسين في شتّى المجالات اللّغوية والفلسفية والمنطقية، خصوصا عندما أثبتت مشروعيتها بالبحث في المعنى العامّ للمفردات وما يحيط بها من معانٍ جزئية. كما اتّخذت هذه النّظرية مسارا متميّزا عند تصنيفها للمداخل المعجمية وفق مجاميع دلالية في مجالات الخبرة الإنسانية.

تقوم هذه النظرية الدّلالية على المحاور الآتية :( )

-إنّ الوحدات المعجمية تؤلّف فيما بينها شبكة Network من العلاقات الدّلالية، وهي ليست وحدات مستقلّة منفصلة عن بعضها.

-إنّ هذه الوحدات المعجمية يجمعها سياق دلاليّ خاصّ بها، قد يتداخل أحيانا مع سياقات أخرى مادّية أو معنوية. مثال ذلك كلمة (فتح):

-فتح الكتاب: بدأه

-فتح الله قلبه: شرحه له

-فتح على الفقير: هيّأ له سبل الخير

-فتح حسابا في البنك: خصّص مالا للادّخار

-فتح البلاد: غلب عليها

-فتح الجلسة: بدأ أشغالها

-فتح الطّريق: هيّأه للمرور

مثال2 : كلمة (قوّم):

-قوّم السّلعة : جعل لها قيمة

-قوّم البلد: ذكر موقعه وبعده

-قوّم الزّمن: أجرى عليه حساب التّقويم ميلاديا أو هجريا

-قوّم العملة: حدّد قيمتها بالنّسبة إلى العملات الأخرى

إنّ معنى اللّفظ في هذه النّماذج يستوقفنا عند البعد الدّاخلي الذي يتعلق باللغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها، والهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات لإزالة اللّبس الذي يعتريها، كما أنّ التّغير الدّلالي للكلمة يجعلها تُنقل من حقل دلاليّ إلى آخر وفق اعتبارات سياقية محضة.

وأمّا البعد الخارجي فيتمثّل في «الظّروف والخلفيات المحيطة بالنّص سواء منها ما يتّصل بالمخاطِب أو المخاطَب، وكذلك البيئة الزمانية والمكانية النابع منها النّص، وكذلك يشمل الأسس الفكرية والحياتية القائمة وراءه» ( ). فضلا عن كلّ الملابسات والظروف التي تحدّد إطار النّص وتحيط به.

فيكون السّياق بذلك عند أصحاب هذه النّظرية عنصرا ضروريا لاستثمار وفهم مقصدية النّص عن طريق استثمار الأدوات اللّغوية الموظّفة في التّفكيك والتّعليل للوصول إلى القراءة العميقة .

نمثّل لذلك بقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (سورة الطلاق:7) مجسّدا في فعل الأمر المقرون بلام الأمر(لينفق) فإنّ هذا اللّفظ يُستعمل بدلالات مختلفة كالوجوب والإرشاد في هذا المقام، وقد تتعدّاهما إلى دلالات أخرى كالإباحة والتهديد والتّسوية والتّمنّي في سياقات قرآنية أخرى.

إنّ العقل البشري حين يعمل، يعمل من خلال اللّغة، ومن ثمّ فإنّه يحتفظ بهذه الوحدات في الذاكرة بما لها من صلة بالحقول أو المجالات التي تنتمي إليها الوحدات المعجمية.

ويتّفق أصحاب هذا الاتجاه على جملة من المبادئ لخّصها جون ليونز في الآتي:

-لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.

-لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن.

-لا يصحّ إغفال السّياق الذي ترد فيه الكلمة.

-استحالة دراسة المفردات مستقلّة عن تركيبها النّحوي.( )

وفي مقابل هذه المبادئ قد تمّ توسيع مفهوم الحقل الدّلالي ليشمل الكلمات المترادفة والمتضادّة، وكذا الأوزان الاشتقاقية، فضلا عن أجزاء الكلام وتصنيفاتها النّحوية، والحقول السنتجماتية«Syntagmatic Fields» ؛ وهي الكلمات التي ترتبط عن طريق الاستعمال، فلا يجوز استبدالها بغيرها، ويعدّ porzig أوّل من درس هذا النّوع الأخير،

ونمثّل لذلك بالأمثلة الآتية:

-يمشي  قدم

-ينتقل  سيارة

-يرى  عين

-فرس  صهيل

-كلب  نباح

فهذه الثّنائيات جميعا متّصلة بعضها ببعض برابط قويّ يسمّى الاستعمال.

– إنّ هذه النّظرية تنطلق من تصوّر عام يقول بأنّ اللّغة تتكوّن من مجموعة من الكلمات تغطّي كل مجموعة منها قطاعا أو مجالا من المفاهيم والخبرات، وتتواجد الكلمات داخل كل حقل بصورة متراصّة متجاورة، ويقوم كل حقل على مجموعة محدودة من العناصر التّصورية، من أمثلتها:

-**حقل ألفاظ الخوف**: الخشية، الخوف، الريبة، الفزع.

-**حقل درجات الحرارة**: حار، ساخن جدا، ساخن، دافئ، بارد، جامد.

- **حقل الأدوية**: براسيتامول، بنادول، بينيسلين، سباسفون.

-**الألوان**: أحمر، أخضر، برتقالي، أصفر، أزرق، بني، بنفسجي.

**–وعاء**: كأس، كوب، طبق، قدر، إناء.

**–حيوان**: ماعز، خروف، أسد، ثور، زرافة، ذئب .

-**الحزن**: الكمد، البثّ، الكرب، السّدم، الأسى، الوجوم، الأسف.

فهذه الكلمات المجموعة في كل حقل تعتمد على عنصر المعاني المتقاربة، ذات الملامح الدّلالية المشتركة التي تجعلها تحت لفظ علم يجمعها.

**ثانيا: نقد النّظرية**

تعرّضت نظرية الحقول الدّلالية إلى انتقادات منها:

1-إنّ تحديد معنى الكلمة في محيط الحقل الواحد بناء على علاقاتها بغيرها من الكلمات يؤدّي إلى صعوبات

منطقية حيث يدخل التعريف في دائرة مغلقة.

2-لا توجد حدود خارجية واضحة بين الحقول الدّلالية، لأنّ خيوط الرّبط بين الحقول متباينة وليست منقطعة تماما.

3- لم تُبنَ النّظرية على أسس استقرائية، ولا يعدو أن يكون الحقل نموذجا لغويا محتملا.

4- لم تَسِرْ هذه النّظرية على طريق واحد عند ترير ومن تبعه من اللّغويين، فقد تشعّبت بها الطّرق في كثير من الأحيان.

**ثالثا: أهمّية النّظرية:**

رغم هذه الانتقادات الموجّهة لهذه النّظرية، فإنّها ذات أهمية بالغة في مباحث الدّلاليين، وهذا للأسباب الآتية:

-أسهمت النّظرية في الكشف عن أوجه الشّبه والاختلاف بين الكلمات المدرجة ضمن حقل واحد.

-تساعدنا على تحديد قيود الاختيار التي يتطلّبها المحمول في كلّ موضوع من موضوعاته.

-ساعدت الباحثين على تصنيف اللّغات إلى مجموعات معجمية وفق رؤية دلالية بدل الاعتماد على الزاوية الشكلية في عملية التّصنيف.

-وضّحت هذه النّظرية نقاط التّلاقي بين المتكلّمين في كلّ أقطار العالم في المستوى الدّلالي، وهو المستوى المفهومي الفكري الذي تتقاطع فيه المجتمعات، كالمجرّدات والمحسوسات وغيرها.

- الكشف عن الفجوات والثّغرات المعجمية أو الثّقافية التي توجد داخل الحقل الدّلاليّ؛ أي افتقار المعجم اللّغوي إلى بعض الألفاظ مقارنة بلغة أخرى ( ). مثل حقل الرّجاء: عسى .

- إنّ جرد لائحة من الألفاظ لكل حقل حول موضوع واحد، يساعد على إنتاج لغة وظيفية يستعملها الأدباء أو المحامون أو علماء السّياسة.